

نظريات التوجيه والإرشاد النفسي THEORIES OF GUIDANCE AND

أهمية نظريات التوجيه والإرشاد النفسي:

التوجيه والإرشاد النفسي علم قائم على نظريات متطورة:
عرفنا أن الإرشاد النفسي علم يقوم على نظريات عملية "راجع". ونحن نعرف أن
البحث العلمي يبدأ من دراسة الظواهر النفسية والفروض مروراً بالدراسات
التجريبية التي تعطي نتائج وحقائق وقوانين تلخصها نظرية.
وليس معنى هذا أن النظرية هي نهاية المطاف وأن العلم ينتهي والبحث العلمي
يتوقف بمجرد الوصول إلى النظريات. ولكن عند التوصل إلى نظرية تبدأ الحلقة
من جديد وتخضع النظرية للبحث العلمي المستمر.

وهكذا تظهر نظريات جديدة توضع نظريات قديمة في متحف علم النفس ولا يبقى
لها غير القيمة التاريخية فقط، وسوف توضع في المستقبل بعض النظريات الحالية
في متحف علم النفس أيضاً، ونحن نعرف أنه كان فيما مضى يوجد أشباه نظريات
أو نظريات كاذبة في الإرشاد النفسي Pseudo- Guidance theories
وأصبحت في ذمة التاريخ ومنها ما كان يسمى النظريات الروحانية ومنها ما كان
يتعلق بالتنجيم والفراسة وقراءة الكف وغيرهما "روسيكرانس وهيدين
Hayden & Rosecrance؛ 1960".

إن العلم يتطور، والنظريات السابقة والحالية ترتبط بأسماء علماء معينين توصلوا
إليها، وهي محددة بعينات وبإجراءات تجريبية وكلينيكية محددة، فنحن نعرف
نظرية الذات لكارل روجرز Rogers، ونظرية المجال الرؤية وتضاعف إمكانات
الكشف العلمي.

اسكنر

أهمية دراسات النظريات:

لا شك أن المرشد النفسي يجب أن يعمل في ضوء نظرية، والنظرية النفسية إطار
عام يضم مجموعة منظمة متناسقة متكاملة من الحقائق والقوانين التي تفسر

الظواهر النفسية، والنظرية يجب أن تتضمن الفروض الأساسية التي بنيت عليها، كما يجب أن تتضمن مجموعة من التعريفات الإجرائية أو التجريبية، والفروض يجب أن تكون ذات صلة بالوقائع التجريبية التي تهتم بها النظرية. وتهدف النظرية إلى اكتشاف العلاقات التجريبية الثابتة بين المتغيرات. والنظرية

يجب أن تكون هادفة ونفعية، بمعنى تفسير الظواهر وتنظيم الحقائق والقوانين في شمول وتكامل يفيد في العمل ويمكن من الضبط والتنبؤ الدقيق. والإرشاد النفسي يهتم بدراسة وفهم وتفسير وتقييم السلوك والتنبؤ به وتعديله وتغييره، ومن ثم فلا بد من دراسة النظريات التي تفسر السلوك وكيفية تعديله، وتفيد دراسة نظريات الإرشاد النفسي في فهم العملية الإرشادية نفسها، وفهم أوجه الشبه والاختلاف بين طرق الإرشاد. ونحن نجد أن بعض المرشدين يفضلون العمل في ضوء النظرية محددة دون غيرها من النظريات مثل نظرية الذات بطريقة الإرشاد غير الموجه أو الإرشاد الممرکز حول الذات وهكذا. ملاحظات:

تختلف دراستنا لنظريات التوجيه والإرشاد النفسي قليلا عن دراسة نفس النظريات في إطار دراسة الشخصية مثلا، فالاهتمام هنا منصب على ما يتعلق بالتوجيه والإرشاد النفسي نظريا وعمليا، أي أن المهم ليس معرفة تفاصيل النظريات بقدر معرفة الأسس التي قامت عليها النظريات، ولن نقارن بين النظريات بقصد التفضيل بينها، ذلك لأن التركيز هنا يكون على عملية الإرشاد ككل في شمول وتكامل آخذين من كل نظرية ما يفيد. إن اتباع نظرية واحدة والتمسك بها لدرجة التعصب يعتبر نوعا من الجمود العلمي غير المرغوب. ونحن نعلم أن أي نظرية مهما كانت لا تعلوا على النقد. وفي نفس الوقت قد يلجأ بعض المرشدين تحت

ستار اتباع الأسلوب الخياري، وباسم المرونة، إلى التوفيق والتأليف والتوليف بين النظريات أكثر من اللازم لدرجة تؤدي إلى نتيجة غير علمية وغير مرغوبة. ونحن نعلم أنه لا توجد قوانين عامة للسلوك البشري تنطبق على كل الناس بصدق كامل والمرشد حين يتعامل مع مشكلات بشرية معقدة لا بد أن يقوم عمله على أساس عدد من النظريات وليس نظرية واحدة، لأنه لا وجود لمثل هذه النظرية الواحدة الشاملة بخصوص السلوك البشري في علم النفس "تيلور Taylor؛ 1971".

وهكذا تعدد نظريات التوجيه والإرشاد النفسي. وهذا التعدد يفيد في مواجهة تعدد المشكلات التي يتناولها الإرشاد النفسي في شخصيات العملاء والمرشدين أنفسهم. وفيما يلي عينة من نظريات التوجيه والإرشاد النفسي الهامة التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بطرق الإرشاد النفسي.

نظرية الذات THEPRY SELF :

يتضمن التوجيه والإرشاد النفسي دراسة الذات ومفهوم الذات، والذات هي جوهر الشخصية، ومفهوم الذات هو حجر الزاوية فيها وهو الذي ينظم السلوك، ويقول جوردون ألبورت Allport؛ "1937" إن مفهوم "الذات" مفهوم أساسي في دراسة الشخصية.

وقد استعرض فليب فيرنون Vernon؛ "1964" عدداً من نظريات الذات، ويؤكد أن أهمها **نظرية الذات** لكارل روجرز Rogers.

ونظرية الذات لكارل روجرز Roger's Self Thoeory هي أحدث وأشمل نظريات الذات، وذلك لارتباطها بطريقة من أشهر طرق الإرشاد والعلاج النفسي وهي طريقة الإرشاد والعلاج الممركز حول العميل Client- centred، أو غير الموجه Nondirective وهذه النظرية بنيت أساساً على دراسات وخبرة روجرز في الإرشاد والعلاج النفسي.

وقد بدأ تاريخ نظرية الذات لكارل روجرز عندما بدأ روجرز الإرشاد والعلاج النفسي الممركز حول العميل، واتضح أول معالمها في كتابه "الإرشاد والعلاج

النفسي " Counseling and of Psychotherapy سنة 1924، وعندما بلور بعض النقاط الهامة في العلاج النفسي المركز حول العميل سنة 1946، وعندما كتب مقالا بعنوان "بعض الملاحظات على تنظيم الشخصية" Some Observation of the Organization of Personality سنة 1947، وعندما كتب "العلاج المركز حول العميل" Client- Centered Therapy سنة 1951، وفي تجميعه الشامل المركز للنظرية في المجلد الثالث من كتاب "علم النفس: دراسة علم" الذي حرره كوش Koch سنة 1959، وفي كتابه: On Becoming a Person: A Therapist's View of Psychotherapy سنة 1964، الذي لخص فيه التغيير الذي طرأ على نظريته منذ سنة 1942 حتى سنة 1961 قائلا: "في السنوات الأولى من تخصصي في الإرشاد والعلاج النفسي كنت أسأل السؤال الآتي: كيف أستطيع أن أعالج أو أغير هذا الشخص؟ والآن أعيد صياغة ذلك السؤال بهذه الطريقة: كيف أستطيع أن أوجد علاقة ومناخا نفسيا يستطيع هذا الشخص من خلاله أن يحقق أفضل نمو نفسي؟".

وهناك مكونات رئيسية في نظرية الذات لكارل روجرز. وهذه المكونات هي:

الذات، مفهوم الذات، الخبرة، الفرد، والسلوك، المجال الظاهري.

الذات Self:

تمثل الذات قلب نظرية روجرز. ومفهوم "الذات" قديم قدم الحضارة المصرية، وقد مر مفهوم "الذات" بنمو ديني فلسفي عبر التاريخ، واقتبسه المفكرون اليونان مثل أفلاطون وسقراط وأرسطو وفلسفوه، ثم احتضنه المفكرون العرب مثل العلامة ابن سينا في القرن العاشر والعالم الفيلسوف أبو حامد الغزالي في القرن الحادي عشر، ولقد علمنا الله ما لم نكن نعلم عن: النفس الملهمة، والنفس اللوامة، والنفس البصيرة، والنفس المطمئنة، والنفس الأمارة بالسوء، ويقول الغزالي: إن الوجاهات الأربع الأولى للنفس البشرية حميدة أما الأخيرة فهي غير محمودة وقد ذكر ابن سينا "980 - 1037" مفهوم الذات على أنه الصورة المعرفية للنفس البشرية، وتكلم من جاء بعد ذلك من المفكرين عن مفهوم "الذات" متذبذبين بين

الروح Soul تارة وبين الذات Self تارة أخرى مثل جون لوك Loke؛ "1632-
1704" وجورج بيركلي Berkeley؛ "1685-1753" وهيوم Hume؛ "1740"
وتوماس براون Brown؛ "1778-1820" وجيمس ميل Mill؛ "1829" وكانت
Kant؛ "1838" وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر فقط بدأ المفهوم
"العجوز" للذات يحتل مكانه الصحيح في علم النفس "الرضيع" كمفهوم نفس خلال
كتابات وليام جيمس James؛ "1890" ومنذ بداية القرن الحالي أخذت معظم
النظريات النفسية تتبنى مفهوم "الذات" Self أو "الأنا" ego كمفهومين هامين في
دراسة الشخصية والتوافق النفسي، ولكن النظريات اختلفت حول طبيعة الذات
وبنيتها وتركيبها وأبعادها ووظائفها، وحتى على تعريفها، وكان الخلط كثيرا بين
مصطلح الذات ومصطلح الأنا تارة على أنهما مختلفان وتارة على أنهما مترادفان.
وقد وجد علماء النفس في النصف الأول من القرن العشرين أنه لا يمكن الكتابة
في علم النفس دون الاهتمام بالذات، ومنذ العقد الرابع من هذا القرن أخذت الذات
مكانه الطبيعي في دراسات علم النفس، وأصبح مفهوم الذات الآن ذا أهمية بالغة
ويحتل مكان القلب في الإرشاد والعلاج النفسي، وكثرت الدراسات والبحوث
وظهر ما يسمى سيكولوجية الذات Self Psychology. "حامد زهران
Zahran؛ 1966".

وهكذا نرى أن مفهوم "الذات" قديم قدم الحضارة المصرية ذاتها، وجديد جده أي
مفهوم نفس معاصر وضع تحت ضبط البحث النفسي العلمي. ويلخص تاريخ الذات
ومكانها في علم

النفس قول مأثور "إن علم النفس فقد أولا روحه ثم فقد وعيه وشعوره ثم فقد
عقله، ولكنه لحسن الحظ وجد ذاته واكتشف نفسه".
وعلى كل حال فقد اختار المؤلف تعريف الذات كما حدد في نظرية روجرز.
الذات هي كينونة الفرد أو الشخص. وتنمو الذات وتنفصل تدريجيا عن المجال
الإدراكي، وتتكون بنية الذات نتيجة للتفاعل مع البيئة، وتشمل الذات المدركة،
والذات الاجتماعية، والذات المثالية، وقد تمتص قيم الآخرين، وتسعى إلى التوافق

والاتزان والثبات وتنمو نتيجة للنضج والتعلم، وتصبح المركز الذي تنظم حوله كل الخبرات.

مفهوم الذات Self- Concept:

منذ أن بدأ روجرز في بلورة نظرية الذات أصبح "مفهوم الذات" من أهم موضوعات البحث في علم النفس، وأصبح ذات أهمية خاصة في الإرشاد والعلاج الممرز حول العميل، وقد وصفت روث ويلي Wylie؛ "1974، 1979" وحللت عددا كبيرا من الدراسات والبحوث حول مفهوم الذات بأنه تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات يبلوره الفرد، ويعتبره تعريفا نفسيا لذاته، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكيونته الداخلية والخارجية، وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس إجرائيا في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو "مفهوم الذات المدرك" - Perceived Self concept، والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد أن الآخرين في المجتمع يتصورونها والتي يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين "مفهوم الذات الاجتماعي" Social Self- concept والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود أن يكون "مفهوم الذات المثالي" Ideal Self- concept.

ووظيفة مفهوم الذات وظيفة دافعية وتكامل وتنظيم وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه، ولذا فإنه ينظم ويحدد السلوك. وينمو مفهوم الذات تكوينيا كنتاج للتفاعل الاجتماعي جنبا إلى جنب مع الدافع الداخلي لتأكيد الذات، وعلى الرغم من أنه ثابت إلى حد كبير إلا أنه يمكن تعديله وتغييره تحت ظروف معينة "في الإرشاد النفسي الممرز حول العميل" "حامد زهران Zahran؛ 1966".

وجد المؤلف "حامد زهران، 1972" أن مفهوم الذات الخاص هو أخطر مستويات مفهوم الذات. وهو يختص بالذات الخاصة، أي الجزء الشعوري السري الشخصي

جدا أو "العوري" من خبرات الذات، والذي يقع في المنطقة الحدية بين الشعور واللاشعور، ومحتوى مفهوم الذات من خبرات الذات الخاص يكون هاما وخطيرا يحاول الانطمار في اللاشعور قبل أي خبرة أخرى من خبرات الذات، إلا أن لأهميته وخطورته في حياة الفرد يقاوم هذا الانطمار.

ومحتوى مفهوم الذات الخاص يكون معظمه مواد غير مرغوب فيها اجتماعيا "خبرات محرمة أو محرجة أو مخجلة أو معيبة أو بغیضة أو مؤلمة ... إلخ"، ولا يجوز إظهاره أو كشفه أو ذكره أمام الناس، وتنشط الذات تماما للحيلولة دون خروج محتواه، وهكذا يبدو مفهوم الذات الخاص وكأنه العورة النفسية للفرد. إن من السهل على الفرد الكشف عن مفهوم الذات الواقعي والمدرک والاجتماعي والمثالي بدون اللجوء إلى حيل الدفاع النفسي، ولكن من الصعب جدا الكشف عن مفهوم الذات الخاص، والفرق شاسع بين محتويات مفهوم الذات العام ومحتويات مفهوم الذات الخاص، ويعلم كل المرشدين والمعالجين النفسيين أن من السهل أن يقول العميل أن له زوجا أو زوجة ومن الصعب أن يقول أن له عشيقا أو عشيقا، ويمكن أن يذكر أنه يكسب عيشه من التجارة ولكنه لا يفصح عن أنه يتاجر في المخدرات أو في الدعارة، وقد يعترف بفشله في العمل لنقص ميله إليه أو لنقص عائده وليس من السهل أن يعترف أن فشله يرجع إلى غشه في الامتحانات أو إلى أن الشهادة التي يحملها مزورة، وقد يقرر أن مشكلته الزوجية نابعة من نقص الحب، ولكنه لا يقرر أنها ناتجة عن شذوذ العلاقات الجنسية أو العلاقات الجنسية غير الشرعية.

وهكذا يهتم الإرشاد العلاجي والعلاج النفسي الممرکز حول العميل بمفهوم الذات العام "الشعوري المتاح" الذي يتيح فهم الشخصية، ومفهوم الذات الخاص "الشعوري العوري" الذي يهدد الشخصية.

ويرى المؤلف أن أي خبرة مهددة في مفهوم الذات الخاص - إذا لم تظهر للمرشد النفسي وتناقش ويوضع خطة لعلاجها - تكون بمثابة "عاهة نفسية مستديمة". يجمع الكتاب والباحثون على أن أحد الأهداف الرئيسية للإرشاد العلاجي هو تنمية

مفهوم واقعي عن الذات Realistic Self- concept وأن معظم حالات سوء التوافق هي نتيجة الفشل في تنمية مثل هذا المفهوم الواقعي، ورسم الخطط التي تتلاءم معه، ومن المعلوم أن من ينمي مفهوما منخفضا للذات أو أقل من الواقع يكون لديه مشكلات تماثل في حداثها تلك التي تكون لدى من ينمي مفهوما مبالغاً فيه للذات. وقد وجد أن مرضى الذهان يكون مفهوم الذات لديهم مشوهاً وبعيداً عن الواقع.

ويعتقد معظم الباحثين أن الإرشاد النفسي يتضمن موقفاً خاصاً بين المرشد والعميل يضع فيه العميل مفهومه عن ذاته كموضوع رئيسي للمناقشة، بحيث تؤدي عملية الإرشاد إلى فهم واقعي للذات وتقبل الآخرين، والتوافق النفسي والصحة النفسية، وتؤكد معظم الدراسات والبحوث العلاقة والارتباط القوي بين مفهوم الذات والتوافق النفسي وأن سوء التوافق ينتج عن إدراك تهديد الذات أو إدراك تهديد في المجال الظاهري، أحدهما أو كلاهما، وأن الأفراد ذوي مفهوم الذات الموجب يكونون أحسن توافقاً من الأفراد ذوي مفهوم الذات السالب. وفي مجال الإرشاد المهني يعتقد الباحثون أن الوعي بمفهوم الذات المهني Vocational Self- concept يعتبر عنصراً هاماً في الوعي بالذات. فالفرد مثلاً يجب أن يتصور مهنة مثل التدريس على أنها مناسبة لذاته قبل أن يختارها كمهنة لذاته.

وفي مجال الإرشاد الزواجي وجدت إيلانور لوكي Luckey؛ "1964" علاقة جوهريّة بين مفهوم الذات الموجب وبين التوافق بين الزوجين، وأوصت أن يكون الإرشاد الزواجي متركزاً حول الشخص Person- Centred وليس متركزاً حول المشكلة Problem- centred.

وفي مجال الإرشاد العلاجي تأكدت الأهمية الخاصة لمفهوم الذات العام وخطورة مفهوم الذات الخاص وضرورة البوح والتصرف في محتواه المهدد، عن طريق الإرشاد والعلاج المتركز حول العميل حامد زهران، "1976".

نقد نظرية الذات:

يوجه إلى نظرية الذات بعض الانتقادات "توردبيرج Nordberg؛ 1970".

ومن هذه الانتقادات ما يلي:

- أن النظرية لم تبلور تصورا كاملا لطبيعة الإنسان، وذلك لتركيزها الكامل على الذات ومفهوم الذات.

(101/1)

- يرى روجرز أن الفرد له وحده الحق في تحقيق أهدافه وتقدير مصيره، ولكنه نسي أن الفرد ليس له الحق في السلوك الخاطئ.

- يؤكد روجرز أن الفرد يعيش في عالمه الذاتي الخاص ويكون سلوكه تابعا لإدراكه الذاتي، أي أنه يركز على أهمية الذاتية -وهو يركز عملية الإرشاد حول العميل- وذلك على حساب الموضوعية، ويركز على الجوانب الشعورية على حساب الجوانب اللاشعورية ونسي أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى الحقيقة الموضوعية، وأن الجوانب اللاشعورية لها أهميتها.

- يضع روجرز أهمية قليلة أو ثانوية للاختبارات والمقاييس كوسيلة لجمع المعلومات للإرشاد النفسي، واكتفى بأن أشار "كارل روجرز Rogers؛ 1946" إلى أن الاختبارات والمقاييس يمكن أن تستخدم حين يطلبها العميل، وأن المعلومات التي يحصل عليها المرشد فيها يمكن الحصول على أفضل منها عن طريق المقابلة، ونسي أن على المرشد أن يستخدم جميع الوسائل الممكنة للحصول على أكبر قدر من المعلومات لتحقيق أكبر نجاح لعملية الإرشاد النفسي. وعلى الرغم من هذه الانتقادات، فإن نظرية الذات لكارل روجرز تعتبر من أهم وأشهر نظريات الإرشاد والعلاج النفسي.

